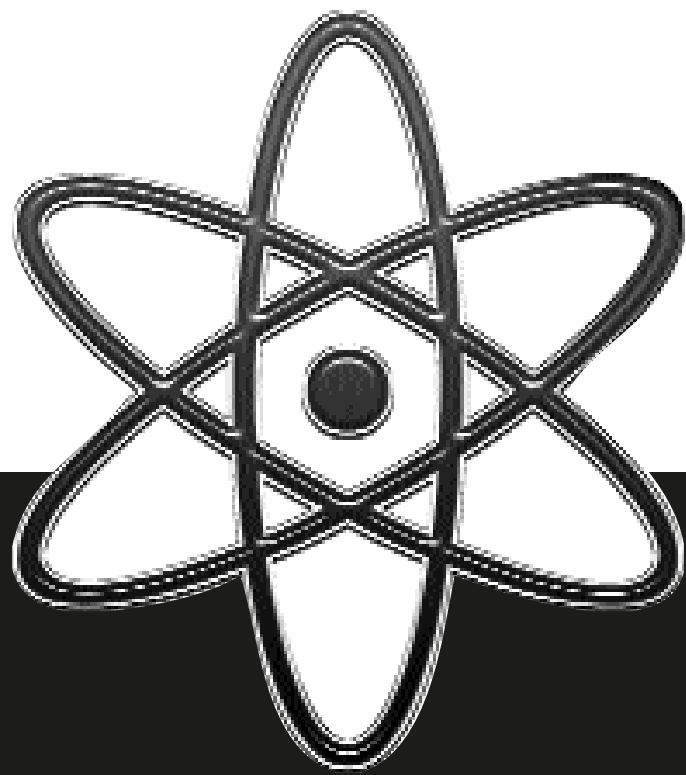


الهدالة وحدها لا القنابل تجعل الأرض أكثر أمنا

اليورانيوم المنضب



الكارثة التي تنتظر العالم



■ يعاني العالم ويعيدا عن السياسة ، من مشاكل عديدة بعضها استحوذ على اهتمام كبير جدا ، كما حدث مع انفلونزا الطيور الذي قال البعض ان المرض قد يتحول الى وباء ويحصد من الارواح اعدادا قد لا يتوقعها احد اليوم وقال البعض الآخر ان هذا الضجيج اسلوب سياسي لإثارة الرعب وللترويج لبعض الأدوية (خاصة شركة جيليد التي طورت دواء تاميفلو والتي كان يتولى رئاستها دونالد رامسفيلد وهو من اكبر اصحاب الأسهم فيها) وليس له علاقة بالخوف على صحة الناس . وامراض وظواهر اخرى أكثر خطورة وفتكا الا انها لم تحظ بالاهتمام ذاته. فالانحسار الحراري له عواقب وخيمة على كوكب الأرض بشكل عام ، الا انه لم يغم بالحالة الاعلامية ذاتها التي لفت انفلونزا الطيور وهناك الفيروسات والجراثيم التي تقتل يوميا ويهدوء مئات الارواح ولا يتوفر لها حتى المضادات الحيوية لعلاجها ، وهي منسية من اجهزة الاعلام. الا ان اليورانيوم المنضب يأتي في قمة هذه المشاكل المنسية لانه اكثرها خطورة واكثرها بعدا عن اهتمام الناس بسبب تمعد اغفاله فلم يناقش علنا امام الناس او معهم ولم توضع ابعاده وعواقبه لهم ولم تتخذ بشأنه الاجراءات الوقائية والعلاجية. والسبب واضح وبسيط حيث الاضرار كبيرة ولا يمكن اصلاحها او معالجتها.

منذ نجاح الانسان في شطر الذرة في احد مختبرات مدينة برلين في عام ١٩٣٨ تغير وجه العالم كثيرا. وجاءت النظرية النسبية لآلبرت اينشتاين لتعمل من انتاج القنبلة الذرية ، خاصة وان الولايات الاميركية كانت في عجلة من امرها خوفا من ان ينجح الالمان في تحقيق السبق. وعاد اينشتاين ليندم على توقيعه على رسالة تحت الرئيس روزفلت على انتاج القنبلة النووية. يقول اينشتاين : لقد ارتكبت خطأ فادحا واحدا في حياتي عندما وقعت الرسالة الى الرئيس فرانكلين روزفلت اقترح عليه انتاج القنبلة النووية.

ان عالمنا يواجه ازمة لا يعرف عواقبها اولئك الذين يملكون القوة على اتخاذ القرارات الكبيرة الصالح منها والطالح. لقد غيرت الطاقة الذرية كل شيء فينا حتى اسلوب تفكيرنا بحيث اننا نسير بخطى حثيثة صوب كارثة غير مسبوقه ، نترى ماذا سيقول اينشتاين لو كان حيا اليوم ، عن اخطار اليورانيوم المنضب عندما يصبح سلاحا من اسلحة الدمار الشامل. ما هو اليورانيوم المنضب؟

يجب تخصيص اليورانيوم حتى يمكن استعماله كوقود للمفاعلات النووية او لانتاج الاسلحة النووية. بعد التخصيب تجري عملية الانصهار الحراري وباتجاهين الاول مخصب والاخر منضب. وقبل استخدام اليورانيوم المنضب يجري عادة تخزينه وبكميات كبيرة باعتباره منتجا عرضيا. لكنه وبعد اكتشاف ان الصواريخ والقذائف التي يدخل في انتاجها اليورانيوم المنضب لها قدرة عالية على اختراق الاهداف وتدميرها ، قرر البنتاغون تبني هذه التكنولوجيا الجديدة قبل حوالي اكثر من خمسة عشر عاما على امل استخدامها في الحرب المستقبلية.■

طورت البحرية الاميركية اول سلاح يستخدم اليورانيوم المنضب في عام ١٩٦٨ ومنحت الولايات المتحدة اسرائيل هذا السلاح لاستخدامه في حرب اكتوبر ١٩٧٣م وبإشراف اميركي. وبيعت هذه الاسلحة الى عدد كبير من البلدان (حوالي تسعة وعشرين بلدا) الا انها لم تستخدم حتى عام ١٩٩١ في حرب تحرير الكويت وخرقت الولايات المتحدة يومها حظرا يمنع استخدام هذه الاسلحة، ثم عادت الولايات المتحدة واستخدمت اليورانيوم المنضب في حروب يوغسلافيا وافغانستان واخيرا في العراق. واستعملت الولايات المتحدة في تلك الحروب آلاف الالطنان من اسلحة اليورانيوم المنضب التي احدثت فيها دمارا هائلا بسبب الاشعاعات والمواد الكيماوية السامة علاوة على الاهداف التي دمرت والاشخاص الذين قتلوا ، وعلينا ان لا ننسى اضرار التلوث التي لا يمكن حصرها والتي تمتد لعدة اجيال. استخدمت الغازات السامة كسلاح لأول مرة في الحرب العالمية الاولى ومن قبل الجانبين المحاربين. وكانت العواقب خفيفة حيث قتل من جراء استخدام الغازات حوالي مائة الف شخص وجرح مليون. وبعد الحرب سعت الدول الى تحريم استخدام الغازات فوقعت على بروتوكول جنيف ومجموعة اخرى من معاهدات جنيف في عام ١٩٢٥ والتي حظرت استخدام العوامل البيولوجية والكيماوية في الحروب. وبالرغم من ان ميثاق جنيف حرم استخدام اسلحة اليورانيوم ومنها اليورانيوم المنضب ، الا انها كانت محرمة اصلا منذ عام ١٩٠٧ واستنادا الى معاهدة لاهاي التي اعتبرت استخدام المواد السامة والاسلحة السامة محرما. ونحن نعلم ان اليورانيوم المنضب بجميع اشكاله هو مادة مشعة وسامة لذلك ينطبق عليها حظر معاهدة لاهاي. والولايات المتحدة وقعت على ميثاق جنيف ومعاهدة لاهاي (والتي تعتبران خاصة ميثاق جنيف ملزمة استنادا للقانون الدولي) ان استخدام هذه الاسلحة يعتبر خرقا للمواثيق الدولية والالتزامات التي اخذتها الدول وهذه تعتبر جرائم حرب. واسلحة اليورانيوم المنضب ينطبق عليها التعريف الاميركي لاسلحة الدمار الشامل وفي حالتين.

يقول التعريف الاميركي لاسلحة الدمار الشامل (اسلحة الدمار الشامل هي اي سلاح او اداة تهدف اولها القابلية على القتل او الحاق الاضرار الكبيرة لمجموعة من الناس عبر اطلاق او نشر أو تأثير (مواد كيماوية سامة او ضارة او مواد ناتجة عنها) او (مجموعة امراض) او (اشعاعات او مواد مشعة). ولان الولايات المتحدة من الدول التي وقعت على معاهدتي لاهاي وجنيف لذلك فان الولايات المتحدة تخرق قوانينها الخاصة. ولان جيوشها استخدمت اليورانيوم المنضب وهو حسب التعريف اعلاه من اسلحة الدمار الشامل وبذلك فهو محرم في اربعة حروب خاضتها ، لذلك فانها اي الولايات المتحدة تعتبر مذنبه بذات الجرم الذي اتهمت به العراق وخاضت الحرب ضده لتجريده من تلك الاسلحة . علاوة على ذلك واستنادا الى جميع المواثيق والمعاهدات الدولية الملزمة للدول الموقعة فان الاسلحة التي تتسبب في الحاق اضرار بالبيئة هي محرمة ايضا . ان اسلحة اليورانيوم المنضب هي اسلحة سامة وحسب ما يقره القانون الدولي وتخالف جميع الاعراف والمواثيق.

منذ ان استخدم الجيش الاميركي لأسلحة اليورانيوم المنضب في حرب تحرير الكويت في عام ١٩٩١ فانه اطلق ذرات مشعة تعادل اربعمائة الف قنبلة نووية من طراز القنبلة التي القيت على مدينة ناغازاكي اليابانية الى الجو مما سبب تلوثا دائم لعمر نصفي يصل الى ٤.٥ مليار سنة (العمر النصفي هو الزمن الضروري لتفكك نصف ذرات السابقة التي صاحبت الانفجار. وحتى اليوم مازالت طراز القنبلة التي القيت على مدينة هيروشيما. تسببت قنبلتا ناغازاكي وهيروشيما في مقتل حوالي ثلاثمائة الف شخص نتيجة للعصف والانفجار والاشعاعات والمواد السامة التي صاحبت الانفجار. وحتى اليوم مازالت السلطات المعنية تسجل وفيات ترتبط بالقنبلتين والولايات المتحدة تصرب اربعة الى ستة اهداف يوميا باسلحة اليورانيوم المنضب في العراق. ولنا ان نتخيل الضرر الناتج عن ذلك اذا اخذنا بنظر الاعتبار الارقام اعلاه. تقول لورين موريت الخبيرة في الاشعاعات واليورانيوم المنضب وتأثيرها على الصحة العامة ، في مقالة لها في يوليو ٢٠٠٤ ان استخدام الولايات المتحدة لاسلحة اليورانيوم المنضب ، متحديا القوانين والمواثيق الدولية ، سيقضي على جميع انواع الحياة على الأرض ، بما في ذلك البشر. ومع علمها بذلك تواصل الولايات المتحدة استخدامها لهذه الاسلحة. واضافت موريت : ان اسلحة اليورانيوم المنضب هي حصان طروادة وهي لا تتوقف عن العمل والقتل. فما من وسيلة تستطيع تنظيف اثارها ، وما استخدمها لوقفها من العمل لأنها تتحول باستمرار الى نظائر مشعة ومع التحول يستمر اطلاق الاشعاعات وان استخدام اسلحة اليورانيوم المنضب في الحرب ، كما يجري مثلا اليوم في العراق يذكرنا بماكينه يوم الحساب في فيلم الدكتور سترينجلوف الذي انتج في عام ١٩٦٤ والفارق ان الاسلحة حقيقية. ان هذه الاسلحة يمكن ان نسميها اسلحة الأبادو.

اليورانيوم المنضب أخطر بكثير من هجمات سبتمبر في عام ١٩٧٩ تطايرت ذرات من اليورانيوم المنضب من المعمل الوطني للصناعات الرصاصية في نيولاباني في ولاية نيو جيرسي (وهو معمل تابع للجيش الاميركي ينتج اسلحة اليورانيوم المنضب). قطعت الذرات ستة وعشرين ميلا واكتشفها الدكتور ليونارد ويتز وهو استاذ في المعمل في عام ١٩٨٠ لتسببه في اطلاق (٠.٨٥) من الرطل من اليورانيوم المنضب كل شهر وتلك الكمية تتطلب مائة مليون دولار لتنظيفها من الغبار العالق في مرشحة كبيرة من اليورانيوم المنضب (لنقل مليون رطل) وقعت بيد تنظيم ارهابي نثرها في مناطق اميركية مكتظة بالسكان. وظهرت الآثار على الاطفال الذين اصيب عد كبير منهم بامراض السرطان ومات الكثير منهم. وحدثت حالات اسقاط كثيرة في الولادات. اصبحت الاماكن التي يرتادها الاطفال عادة من ملاعب كرة القدم والسواحل والحدائق

العامة مناطق غير آمنة وبدأ الناس الاحساس بالرعب لان حركتهم اصبحت محدودة ، وخطر الموت يخيم عليهم حيثما ذهبوا. الا يبدو ذلك اشد خطرا من سبتمبر؟ قال الدكتور جواد العلي رئيس قسم الاورام في مستشفى البصرة بالعراق في مؤتمر عقد في طوكيو مؤخرا ان ظاهرتين السابقتين الأولى اصابة المريض الواحد بسرطانين او ثلاثة سرطانات دفعة واحدة ، على سبيل المثال سرطان الدم وسرطان المعدة. كان هناك مريض مصاب بسرطان المعدة والكلىة . وبعد عدة اشهر اصبحت كليته الثانية وينوع آخر من السرطان والظاهرة الثانية انتشار مرض السرطان على مستوى العائلات ، لدينا ثمانى وخمسون عائلة اصيب اكثر من فرد فيها بمرض السرطان . مثلا الدكتور ياسين وهو طبيب جراحة عامة اصيب له اثنان من اعمامه واخته وابن عمه بمرض السرطان . اما الدكتور مازن وهو طبيب اختصاص فاصيب له ستة من افراد عائلته بالمرض.

ان الاطفال اكثر عرضة للتسمم باليورانيوم المنضب ، حيث تزداد نسبة الامتصاص لديهم لان الدم لديهم يستعمل لبناء وتقوية العظام لديهم كما ان الكثير من انسجة الجسم كانوا يسرقون الملعقات والببائيات مني ويستخدمونها في الدم بين الاطفال وكذلك سرطان الجهاز اللعفاوي، وهو الذي يندر رويته تحت سن الثانية عشرة.

قول الحرب وسقوط نظام الرئيس العراقي صدام حسين قالوا اننا ابواق النظام وننشر الدعايات وقد اتهمني البعض بأبني من انصار النظام. حينها كنت اشعر احيانا بالخوف من الكلام حول هذا الموضوع بعض رجال السلطة انذاك كانوا يسرقون الملعقات والببائيات مني ويستخدمونها في خططهم الخاصة . منعت من دخول الكويت لانني ، كما قالوا من رجال النظام. ويقول جون هانثيث استاذ الصحافة في جامعة سنت بونافينتشتر واحد مؤسسي صحيفة يو أس توداي انه اعد مرة تقارير حول تأثيرات اليورانيوم المنضب على الجنود الاميركيين والمواطنين العراقيين في حرب تحرير الكويت. واضاف هانثيث انه كلما اعد الموضوع للنشر يتلقى مكالمات من البنتاغون للتأني وتأجيل النشر ، ثم بعدها استبعد من منصبه في الصحيفة. وقال الدكتور كيث بيفرستوك رئيس خبراء منظمة الصحة العالمية في شئون الاشعاعات والصحة لمدة احدى عشرة سنة ان تقريرنا له حول تعرض المدنيين العراقيين للامراض بسبب استنشاقهم الغبار الملوث باليورانيوم استبعد بشكل متعمد. تقارير البنتاغون غير موثوق بها. قال الدكتور آساف ديوراكوفيتش استاذ الاشعة والطب الذري في جامعة جورج تاون وهو يشير الى تجارب اجريت في عام ١٩٩٧ وماتت اصابته بسرطان الرئة قال: ان وزارة الدفاع الاميركية طلبت منه الكذب بشأن اخطار التعرض لليورانيوم المنضب. وكان ديوراكوفيتش حينها عقيدا في الجيش الاميركي. وبعد ان ترك الجيش انشأ مركز بحوث اليورانيوم الطبية ومقره في كندا ، وقال دوغ روك المقاول الذي تولى عمليات تنظيف اليورانيوم المنضب ان استخدام اليورانيوم

المنضب يعتبر جريمة ضد الدين والانسانية واضاف روك ذهبت والعمال ونحن بصحة جيدة ، الا اننا وبعد عمليات التنظيف في الصحراء وبدون استعمال الاقنعة الخاصة فقدنا ثلاثين رجلا في حين مازال الآخرون يعانون من مشاكل صحية مختلفة ومنهم روك نفسه الذي يعاني من مشاكل في التنفس والاعصاب والعيون والكلىة. واضاف لقد كبرياءهم كانت خارج نطاق الفهم. وأصرت وزارة الدفاع على ان مثل هذا الاستنشاق لا يسبب المرض للجنود لكنها في الوقت نفسه اصرت على عمليات التنظيف الواسعة. فما هو السبب؟ وعند سؤالنا ماريون فولك خبير الفيزياء الكيماوية المتقاعد الذي امضى عشرين عاما في انتاج القنابل الذرية في مختبرات لورانس ليفمور عن اسلحة اليورانيوم المنضب قال انها لا تختلف عن القنابل الذرية بل ان الانثين متشابهان تماما. وازداد ان ثلاثين بالمائة من اليورانيوم المنضب الذي تطلقه بابابت الاميركي للتسمم باليورانيوم المنضب ، يصل الى ميكرون (واحد الى مليون من المتر) او اصفر عند الانفجار وكلما كان الانفجار كبيرا كلما ازادت كمية اليورانيوم المنضب التي تتطاير في الجو. في الصواريخ والقنابل الكبيرة يتحول ٨٠٠٪ من اليورانيوم المنضب الى ذرات غبار مشعة حجمها ميكرون او اقل. وحول الهدف الرئيسي لاستخدام هذه الاسلحة قال انها تستعمل لقتل اكبر عدد من الاشخاص.

عندما تصرب قنبلة او قذيفة يورانيوم منضب هدفا صلبا فإن جانبا كبيرا من طاقتها الحركية يتحول الى حرارة كافية لاشعال اليورانيوم المنضب يتحول ٤٠ - ٧٠٪ من اليورانيوم المنضب الى ذرات دقيقة من اوكسيد اليورانيوم (خاصة ثاني اوكسيد اليورانيوم) ويبلغ حجم ذرات رماد السجائر والذي يمكن استنشاقه. كان الوضع مزريا في العراق على المستوى الصحي لذلك سجلت حالات قليلة من اصابات السرطان والتشوهات الولادية الخلقية بسبب اليورانيوم المنضب. وبسبب في المناطق الجنوبية مقارنتا بين التشوهات الولادية التي ظهرت بعد تفجيرات ناغازاكي وهيروشيما اثناء الحرب العالمية الثانية. ولديهم صور عديدة لرضع ولدوا بدون اذعة او ان احسانهم الداخلية خارج البطن او بدون اعضاء تناسلية او عمود فقري وغيرها كثير. ان مثل هذه الولادات كانت نادرة في العراق (اي قبل استخدام اسلحة اليورانيوم المنضب). الا انها أصبحت مألوفة جدا. والاسئلة التي تطرحها الامهات اليوم عن الولادات الجديدة لا ترتبط بجنس المولود نكرا ام انثى وانما هل المولود سوي؟ ان الصور مرعبة قال روسن ميركارامين المتحدث باسم مركز بحوث حلالوول المنضب. اليورانيوم المنضب يتسبب في انجاب اطفال مصابين بامراض سرطانية خطيرة مثل سرطان الثدي وسرطان القولون وسرطان الكبد وسرطان الدم في سبتمبر ٢٠٠٤ يبدو ان الجميع يموتون بسبب السرطان. نسع يوميا عن اناس يموتون كم هو عدد الذين يموتون في المستشفيات ولا نعرفهم؟ يبدو ان